

# من أسباب اختلاف المفسرين المتعلقة بمرجع الضمير

د. صالح ناصر الناصر

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود

## المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن تفسير القرآن الكريم علم عظيم القدر، رفيع المنزلة، وذلك لتعلقه بكلام الله تعالى، وتفسير القرآن باللغة العربية أصل أصيل في التفسير، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، ومن مسائل اللغة العربية وأبوابها تحديد مرجع الضمير، والضمائر في القرآن كثيرة جداً، وضمير الغائب هو الذي يحتاج إلى تحديد مرجعه ومفسره، قال أبو حيان : « ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة، وأما ضمير الغائب فعار عن المشاهدة، فاحتيج إلى ما يفسره، وأصل المفسر في الضمير أن يكون ما يعود عليه متقدماً »<sup>(٢)</sup> . وقد قام عدد كبير من العلماء بتفسير كتاب الله تعالى، وقد كثرت أقوالهم في التفسير وتنوعت، ومن نظر في هذه التفاسير فإنه يقف على خلافات كثيرة بين المفسرين بسبب اختلافهم في تحديد مرجع الضمير، كما أن هناك أسباباً أخرى لاختلاف المفسرين ، فمن هذه الأسباب ما يعود إلى اختلاف القراءات في الآيات، ومنها ما يعود إلى مدى بلوغ الحديث النبوي للمفسر من عدمه، ومدى ثبوته عنده وفهمه له، ومنها ما يعود إلى احتمال النسخ من عدمه، أو الإطلاق والتقييد، أو الخصوص والعموم، أو الاختلاف في أوجه الإعراب، أو غير ذلك من الأسباب.

وسأتناول في بحثي هذا ما يتعلق ببعض أسباب اختلاف المفسرين المتعلقة بمرجع الضمير لأن اختلاف المفسرين في مرجع الضمير يؤدي إلى اختلافهم في معنى الآية أحياناً، وهذا البحث سميته : « من أسباب اختلاف المفسرين المتعلقة بمرجع الضمير » .

(١) سورة يوسف: الآية ( ٢ )

(٢) التنبيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ٢٠٥٢/٢ .

## تهييد :

من المعلوم أن أشرف أنواع التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، ولهذا النوع من التفسير أوجه كثيرة، منها بيان الإجمال الحاصل بسبب الخلاف في تحديد مرجع الضمير الذي بتحديدده يتضح معنى الآية ويتبين القول الراجح في تفسيرها .

قال الشنقيطي في مقدمة تفسيره: « أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن » عن أوجه البيان في تفسير القرآن بالقرآن: « ومن أنواع البيان بيان الإجمال الواقع بسبب احتمال في مفسر الضمير، وهو كثير »<sup>(١)</sup> .

ومعنى ذلك : أن هناك إجمالاً سببه الاحتمالات الواردة في مرجع الضمير، والاختلاف بين المفسرين لهذا السبب كثير.

## من أسباب اختلاف المفسرين المتعلقة بمرجع الضمير :-

١ - إعادة بعض المفسرين الضمير إلى أكثر من مذكور، وبعضهم يعيده إلى مذكور واحد.

في بعض الحالات يكون في الآية ضمير يحتمل رجوعه إلى أكثر من مذكور، فلا مانع من حمله على الجميع ، إلا أن يوجد دليل يمنع من ذلك .

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿بَتَّأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾<sup>(٢)</sup> قال الزجاج: «﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ فملاق ربك، وقيل فملاق عمك»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير في معنى الآية وبيان مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ قال : « أي إنك ساع إلى ربك سعياً، وعامل عملاً ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾، ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر، ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال جبريل : « يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه »<sup>(٤)</sup> . ومن الناس من يعيد

(١) أضواء البيان ٩/١ باختصار يسير .

(٢) سورة الانشقاق ، الآية « ٦ » .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٤/٥ .

(٤) رواه أبو داود الطيالسي ٣١٣/٣، حديث رقم « ١٨٦٢ » ، وقال المحقق: إسناده ضعيف، وصححه الألباني بلفظ « مجزئ به » بدلاً من « ملاقيه » ، وبزيادة : « وأعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس » . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٠٥/٢، حديث رقم « ٨٣١ » .

الضمير على قوله ﴿ربك﴾ أي فملاق ربك، ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك، وعلى هذا فكلا القولين متلازم، قال العوفي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (١) يقول تعالى: « عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرا » (٢) .

قلت: ولا مانع من إعادة الضمير إلى الكل لأن كلا المعنيين صحيحان، فإن العبد ملاق ربه وعمله .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَنَّهُدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣) .

قال الشوكاني: « والضمير في ﴿بَعْدَهَا﴾ يرجع إلى الفتنة، أو إلى المهاجرة، أو الجهاد والصبر، أو إلى الجميع » (٤) .

وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٥)، قال الشنقيطي: «الضمير فيه - أي قوله ﴿نَبْرَأَهَا﴾ عائد على الخليفة المفهومة في ضمن قوله ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، أو إلى المصيبة، واختار بعضهم رجوعه لذلك كله» (٦) .

---

(١) سورة الإنشاق الآية « ٦ »  
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٤٨٩، ٤٩٠ .  
(٣) سورة النحل الآية « ١١٠ » .  
(٤) فتح القدير ٣/١٩٨ .  
(٥) سورة الحديد الآية « ٢٢ » .  
(٦) أضواء البيان ٧/٨١٤ .

## ٢ - التزام بعض المفسرين بعود الضمير إلى أقرب مذكور.

ومن أسباب اختلاف المفسرين في مرجع الضمير: التزام بعض المفسرين بإعادة الضمير إلى أقرب مذكور مع أن قاعدة إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ليست مطردة، فالضمير يعود إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلاف ذلك .

ففي قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى سَيِّدِكُمُ الْيَحْيَىٰ مَوْلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَأْمُرُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالِاتِّصَابُ بِالنُّصُرَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَبِعَمِّ أَوْلَىٰ وَبِعَمِّ النَّصِيرِ ۝﴾ (١)

فمن العلماء من أعاد الضمير في قوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ﴾ لأقرب مذكور وهو إبراهيم، ومنهم من أعاده إلى الله تعالى دلالة السياق، وقد ذكر الطبري القولين في مرجع الضمير في هذه الآية، ورجح القول بأن الضمير يعود على الله تعالى حيث علل هذا الترحيح بقوله: «لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسم أمه محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين في القرآن، لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل. وقد قال الله تعالى ذكره: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا﴾ ولكن الذي سمنا مسلمين من قبل نزول القرآن وفي القرآن الله الذي لم يزل ولا يزال، وأما قوله ﴿من قبل﴾ فإن معناه: من قبل هذا القرآن، في الكتب التي نزلت قبله ﴿وفي هذا﴾ يقول: وفي هذا الكتاب»<sup>(١)</sup>، وكذلك ذكر النحاس هذين القولين، ورجح ما رجحه الطبري، وضعف القول بأن الضمير يعود على إبراهيم، وقال: إن هذا القول مخالف لقول العلماء الأئمة<sup>(٢)</sup> .

وكذلك ذهب الشنقيطي إلى ما ذهب إليه الطبري والنحاس وغيرهم، واحتج بما احتج به الطبري، واحتج أيضا بدلالة السياق في الآية، ثم قال -

(١) سورة الحج الآية: «٧٨» .

(٢) تفسير الطبري ٦٤٦/١٦ .

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس ٤١٢/٢ .

أي الشنقيطي - : « فإن قيل: الضمير يرجع إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور للضمير المذكور هو إبراهيم، فالجواب: أن محل رجوع الضمير إلى أقرب مذكور، محله ما لم يصرف عنه صارف، وهنا قد صرف عنه صارف، لأن قوله: ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ <sup>(١)</sup> يعني القرآن، دليل على أن المراد بالذي سماهم المسلمين فيه هو الله لا إبراهيم، وكذلك سياق الجمل المذكورة قبله نحو ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> فيناسبه أن يكون ﴿ هُوَ سَمَّاكُمْ ﴾، أي الله ﴿ الْمُسْلِمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ <sup>(٤)</sup>.

حيث ذكر أبو حيان القولين في عود الضمير، وهما أنه يعود إلى أقرب مذكور وهو الله تعالى، والقول الثاني: أنه يعود على الإنسان، ورجح عود الضمير إلى الإنسان، حيث قال: « والإنسان هنا هو المحدث عنه والمسند إليه الكنود، وأيضاً فتناسق الضمائر لواحد مع صحة المعنى أولى من جعلهما لمختلفين، ولا سيما إذا توسط الضمير بين ضميرين عائدين على واحد » <sup>(٥)</sup>.

وكذلك رجح الشوكاني عود الضمير في الآية السابقة إلى الإنسان، بعد أن ذكر القولين في ذلك <sup>(٦)</sup>. والشنقيطي أيضاً ذكر القولين، ثم رجح عود الضمير إلى الإنسان حيث قال: « ولكن النظم الكريم يدل على عوده إلى الإنسان، وإن كان هو الأول في اللفظ بدليل قوله بعده ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ <sup>(٧)</sup> فإنه للإنسان بلا نزاع، وتفريق الضمائر بجعل الأول للرب، والثاني للإنسان لا يليق بالنظم الكريم » <sup>(٨)</sup>.

(١) سورة الحج الآية « ٧٨ » .

(٢) سورة الحج الآية « ٧٨ » .

(٣) أضواء البيان ٧٥٠/٥ .

(٤) سورة العاديات الآية « ٧ » .

(٥) البحر المحيط لأبي حيان ٥٠٥/٨ .

(٦) انظر فتح القدير ٤٨٣/٥، وانظر أيضاً المحرر الوجيز، ٥١٤/٥، ٥١٥، حيث ذكر القولين ولم يرجح.

(٧) سورة العاديات الآية « ٨ » .

(٨) أضواء البيان ٩/١، ١٠ .

## أمثلة على قاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور

ومن المعلوم أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، والأمثلة على عود الضمير لأقرب مذكور كثيرة، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾<sup>(١)</sup>، قال الشوكاني: «والضمير في قوله ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ راجع إلى المال، وقيل راجع إلى الإيتاء المدلول عليه بقوله ﴿وَأَتَى الْمَالَ﴾، وقيل إنه راجع إلى الله سبحانه، أي على حب الله»<sup>(٢)</sup>.

قال أبو حيان في البحر المحيط: «والظاهر أن الضمير في ﴿حبه﴾ عائد على المال، لأنه أقرب مذكور، ومن قواعد النحويين أن الضمير لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل»<sup>(٣)</sup>. وكذا رجح ابن جزي الكلبي عوده إلى المال، لأنه الأقرب<sup>(٤)</sup>. والشنقيطي أيضاً رجح هذا القول<sup>(٥)</sup>. واقتصر على هذا القول ابن كثير في تفسيره<sup>(٦)</sup>.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَنَادَيْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي﴾<sup>(٧)</sup>، فقد اختلف المفسرون في من الذي ناداها، بناءً على اختلافهم في مرجع الضمير في قوله: ﴿فَنَادَيْهَا﴾ فقيل: إنه جبريل - عليه السلام -، وقيل: ابنها عيسى - عليه السلام -، وقد ذكر الطبري القولين، ثم رجح أن الضمير يعود على عيسى عليه السلام، وعلل ذلك بأنه أقرب مذكور، ولسياق الآيات.<sup>(٨)</sup>

وقد ذكر الشنقيطي الخلاف في من الذي ناداها من تحتها، ثم قال: «أظهر القولين عندي أن الذي ناداها هو ابنها عيسى، وتدلل على ذلك قرينتان: الأولى أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل، لأن

(١) سورة البقرة الآية « ١٧٧ » .

(٢) فتح القدير ١٧٢/١ .

(٣) البحر المحيط ٥/٢ .

(٤) انظر التسهيل لعلوم التنزيل ١٢٢/١ .

(٥) انظر أضواء البيان ١٠٣/١، ١٠٤ .

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم ١٩٧/١ .

(٧) سورة مريم الآية « ٢٤ » .

(٨) انظر تفسير الطبري ٥٠١/١٥ - ٥٠٥ .

الله تعالى: قال ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾<sup>(١)</sup> يعني عيسى، ﴿ فَأَنْبَذَتْ بِهِ ﴾ أي عيسى، ثم قال بعد ذلك ﴿ فَتَادِيهَا ﴾<sup>(٢)</sup>، فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى «<sup>(٣)</sup>» .

وقد ذكر الماوردي هذين القولين في تفسيره ولم يرجح شيئاً<sup>(٤)</sup> .

وفي قوله تعالى: ﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> .

فلقد اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله: ﴿ قَوْمِهِ ﴾ هل يعود على فرعون، أو على موسى - عليه السلام - .

فابن عطية<sup>(٦)</sup> وابن كثير<sup>(٧)</sup> على أن الضمير يعود على فرعون، ورجح الطبري أن الضمير يعود على موسى - عليه السلام - وقال: « هذا القول أولى بالصواب في ذلك، لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى فلأن تكون «الهاء» في قوله: ﴿ مِّن قَوْمِهِ ﴾<sup>(٨)</sup> من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبعده ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر »<sup>(٩)</sup> .

قال أبو حيان: « والظاهر أن الضمير في ﴿ قَوْمِهِ ﴾ عائد على موسى، وأنه لا يعود على فرعون، لأن موسى هو المحدث عنه في هذه الآية، وهو أقرب مذكور، ولأنه لو كان عائداً على فرعون لم يظهر لفظ فرعون، وكان التركيب: على خوف منه »<sup>(١٠)</sup> .

(١) سورة مريم الآية « ٢٢ »

(٢) سورة مريم الآية « ٢٤ »

(٣) أضواء البيان ٢٤٥/٤، ٢٤٦، وذكر القرينة الثانية وهي: « أن مريم أشارت إلى ابنها ليكلموه، وهذه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته » .

(٤) انظر النكت والعيون « تفسير الماوردي » ٣٦٤/٣ .

(٥) سورة يونس الآية « ٨٣ » .

(٦) انظر المحرر الوجيز ١٣٧/٣ .

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٠٩/٢ .

(٨) سورة يونس الآية « ٨٣ »

(٩) تفسير الطبري ٢٤٧/١٢ .

(١٠) البحر المحيط لأبي حيان ١٨٤/٥ .



والذي يظهر أن ما رجحه الطبري وأبو حيان هو الراجح للأسباب التي ذكروها.

قلتُ : وهكذا يتضح أن المفسرين اختلف تفسيرهم لهذه الآية بناءً على اختلافهم في مرجع الضمير .

## ٢ - اعتبار بعض المفسرين أن رجوع الضمير إلى المحدث عنه في الآية أولى من غيره.

ومن أسباب اختلافهم في مرجع الضمير والذي ينتج عنه اختلافهم في التفسير أن بعض المفسرين يعيد الضمير إلى مذكور متحدث عنه، وبعضهم يعيده إلى مقدر، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾<sup>(١)</sup> ، فقد ذكر الطبري اختلاف العلماء في مرجع الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، وذكر أن منهم من قال: الضمير يعود على عيسى - عليه السلام - أي قبل موت عيسى - عليه السلام - ، وآخرون قالوا: « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي، ثم قال: « وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، ثم شرع بعد ذلك في توجيه هذا القول، ومما ذكر مما يرجح هذا القول أن سياق الآيات في ذكر عيسى، وأمه، واليهود، فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول ﷺ تقوم به حجة، فأما الدعوى فلا تتعذر على أحد»<sup>(٢)</sup> .

ووافق ابن كثير الطبري فيما ذهب إليه من أن الضمير يعود على عيسى - عليه السلام -<sup>(٣)</sup> .

أما ابن عطية فقد ذكر الأقوال في مرجع الضمير في قوله ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾<sup>(٤)</sup> ولم يرجح شيئاً منها<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة النساء الآية: « ١٥٩ » .

(٢) تفسير الطبري ٦٦٤/٧ - ٦٧٥ باختصار .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٤٦/١ .

(٤) سورة النساء الآية « ١٥٩ » .

(٥) انظر المحرر الوجيز ٢٨٧/٤ ، ٢٨٨ .

أما الشنقيطي فقد رجح أيضا ما رجحه الطبري وابن كثير وغيرهما من أن مرجع الضمير إلى عيسى - عليه السلام - ، حيث قال في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكَنْبِ إِلَّا يَوْمَهُمْ يَوْمَ قِيَامٍ مَوْتِهِ﴾<sup>(١)</sup> قال: «أي ليوم من بعيسى قبل موت عيسى، وذلك صريح في أن عيسى حي وقت نزول آية النساء هذه، وأنه لا يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب، ومعلوم أنهم لا يؤمنون به إلا بعد نزوله إلى الأرض، فإن قيل: قد ذهبت جماعة من المفسرين من الصحابة فمن بعدهم إلى أن الضمير في قوله ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ راجع إلى الكتابي، أي ليوم من به الكتابي قيل موت الكتابي، ثم ذكر أن القول الأول هو الراجح من أربعة وجوه هي:

١- أن ذلك هو ظاهر القرآن المتبادر منه، وعليه تتسجم الضمائر بعضها مع بعض، والقول الآخر بخلاف ذلك .

٢- أن مفسر الضمير على هذا القول ملفوظ مصروح به في قوله تعالى: ﴿وَوَقَّوْلِهِمْ إِنَّا قَاتَلْنَا النَّاسِخَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّوا كَيْفَ لَمْ يَكُنِ الْأَيُّونَ ائْتَمَرُوا فِيهِ رَبِّي سَلَّكَ مِنِّي مَا لَمْ يَكُنْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلْمِ وَمَا قَاتَلُوهُ يُفِيئًا﴾<sup>(٢)</sup> ، وعلى القول الآخر ليس مذكورا في الآية أصلا، بل يقرب ب: ما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به قبل موته، أي موت أحد أهل الكتاب المقدر، ومما لا شك فيه أن ما لا يحتاج إلى تفسير أرجح وأولى مما يحتاج .

قلت: وهذا ما أنا بصدده من أن إعادة الضمير إلى مذكور مصروح به أولى من إعادته إلى مقدر .

٣- أن هذا القول تشهد له السنة النبوية المتواترة .

٤- أن هذا القول واضح لا إشكال فيه، ولا يحتاج إلى تأويل ولا تخصيص بخلاف القول الآخر فهو مشكل لا يكاد يصدق إلا مع تخصيص<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة النساء الآية « ١٥٩ » .

(٢) سورة النساء الآية « ١٥٧ » .

(٣) أسواء البيان ٢٦٤-٢٦٦ باختصار .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ (١) ، فقد اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله ﴿بِهِ﴾، فكما سبق فبعض العلماء يعيد الضمير إلى القرآن، لأن الحديث عن القرآن المنزل المصدق لما معهم، ومنهم من يعيده إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

فابن كثير ذكر القولين، وقال إنهما متلازمان، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد ﷺ ، ومن كفر بمحمد ﷺ فقد كفر بالقرآن (٢) .

وأما الطبري - رحمه الله تعالى - فقد رجح أن الضمير يعود على القرآن، وعلل ذلك بأنه المذكور في أول الآية، ولم يجر لمحمد ﷺ ذكر ظاهر في الآية (٣) .

أما أبو حيان فقد رجح أن الضمير يعود على القرآن حيث قال: «والأرجح الأول لأنه أقرب، وهو منطوق به مقصود للحديث عنه» (٤) .

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَشْتَرُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوبُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَدَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٥) ، فقد اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ ، فقيل من رسول الله ﷺ ، وقيل من الله تعالى إن استطاعوا. (٦)

وذكر ابن عطية القولين، ورجح أن الضمير عائد على الله تعالى وقال: «هذا هو الأوضح الأجزل في المعنى» (٧) . وذكر ابن الجوزي القولين ولم يرجح منها شيئاً (٨) .

- 
- (١) سورة البقرة الآية « ٤١ »
  - (٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٨٠/١ .
  - (٣) انظر تفسير الطبري بتحقيق وتعليق محمود شاكر، ٥٦٤/١ .
  - (٤) البحر المحيط ١٧٨/١ .
  - (٥) سورة هود الآية « ٥ » .
  - (٦) انظر القولين في معالم التنزيل ٣٧٤/٢ .
  - (٧) المحرر الوجيز ١٥١/٣ .
  - (٨) انظر زاد المسير ٧٨/٤ .

أما ابن كثير فقد اقتصر على القول بأن الضمير يعود على الله تعالى، ولم يذكر غيره (١). وهكذا فإن الضمير يعود إلى المحدث عنه في الآيات، وهو الله تعالى. وقال الشنقيطي: «والضمير في ﴿ مِنْهُ ﴾ عائد إلى الله تعالى في أظهر القولين، وقيل راجع إليه صلى الله عليه وسلم» (٢).

#### ٤ - حمل بعض المفسرين الضمير على أنه ضمير الشأن .

ومن أسباب الاختلاف في مرجع الضمير، حمل بعض المفسرين الضمير على أنه ضمير الشأن، والبعض الآخر يحمله على غير ضمير الشأن، ففي قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِرَبِّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (٣).

يرجح الزمخشري أن الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ ضمير الشأن (٤).

ورد أبو حيان على الزمخشري في ذلك، حيث قال: «والظاهر أن الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ (٥) عائد على الشيطان، وقال الزمخشري: والضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ ضمير الشأن والحديث، ولا ضرورة تدعو إلى هذا» (٦).

قلت: ويفهم من كلام أبي حيان أنه لا يلجأ إلى القول بضمير الشأن إلا عندما يتعذر وجود مفسر ومرجع للضمير، أما إذا أمكن إعادة الضمير إلى شيء فيصير إليه .

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٧)

قال الزجاج: «﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ أي إن العزيز صاحبي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾» (٨)

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤١٨/٢ .

(٢) أضواء البيان ١٢/٣ .

(٣) سورة الأعراف، الآية «٢٧» .

(٤) انظر الكشاف، ٩٨/٢ .

(٥) سورة الأعراف الآية «٢٧» .

(٦) البحر المحيط ٢٨٤/٤ .

(٧) سورة يوسف الآية «٢٣» .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١٠١/٣ .

قلتُ : والزجاج يرى أن الضمير في ﴿ إِنَّهُ ﴾ للشأن وكذا الزمخشري حيث قال: « ﴿ إِنَّهُ ﴾ أي الشأن والحديث « ربي : سيدي ومالكي »<sup>(١)</sup> وقال أبو حيان : « والضمير في (إنه) الأصح أنه يعود على الله تعالى أي أن الله ربي أحسن مثوأي إذ نجاني من الجب، وأقامني في أحسن مقام ، وإما أن يكون ضمير الشأن وعنى بربه سيده العزيز فلا يصلح لي أن أخونه، وقد أكرم مثوأي وانتمني، قاله مجاهد والسدي وابن إسحاق ويبعد جداً، إذ لا يطلق نبي كريم على مخلوق أنه ربه، ولا بمعنى السيد، لأنه لم يكن في الحقيقة مملوكاً له»<sup>(٢)</sup>.

أما الشوكاتي فالذي يظهر أنه يرجح أن الضمير للشأن، حيث قال: «والضمير للشأن: أي إن الشأن ربي، يعني العزيز: أي سيدي الذي رباني وأحسن مثوأي حيث أمرك بقوله: ﴿ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ﴾<sup>(٣)</sup> فكيف أخونه في أهله وأجيبك إلى ما تريد من ذلك؟»<sup>(٤)</sup>.

#### ٥- إعادة بعض المفسرين الضمير إلى غير المذكور.

ومن أسباب الاختلاف في مرجع الضمير، إرجاع بعض المفسرين الضمير إلى مذكور، وبعضهم يرجعه إلى غير مذكور دل عليه المقام . ففي قوله تعالى: ﴿ مَا تَرَكَ عَلَيَّآ مِنْ دَابَّةٍ ﴾<sup>(٥)</sup> ، قال الشنقيطي: « والضمير في ﴿ عَلَيَّآ ﴾ راجع إلى غير مذكور وهو الأرض، لأن قوله: ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ يدل عليه، لأن من المعلوم أن الدواب إنما تدب على الأرض، ونظيره قوله تعالى: ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله: ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾<sup>(٧)</sup> أي الشمس، ولم يجر لها ذكر، ورجوع الضمير إلى غير مذكور يدل عليه المقام كثير في كلام العرب، ومنه قول حاتم الطائي :

(١) الكشاف ٤٥٥/٢.

(٢) البحر المحيط ٢٩٤/٥.

(٣) سورة يوسف الآية « ٢٣ » .

(٤) فتح القدير ١٧/٣ .

(٥) سورة النحل الآية « ٦١ » .

(٦) سورة فاطر الآية « ٤٥ » .

(٧) سورة ص الآية « ٣٢ » .

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر كل من ابن عطية<sup>(٣)</sup> والقرطبي<sup>(٤)</sup> أن الضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾  
عائد على الأرض، وإن لم يجر لها ذكر، وقال القرطبي: «فإن الدابة لا  
تدب إلا على الأرض»<sup>(٥)</sup> .

وقال ابن عطية: «والضمير في ﴿تَوَارَتْ﴾ للشمس وإن كان لم يجر لها  
ذكر صريح لأن المعنى يقتضيها، وأيضاً فذكر العشي يقتضي لها ذكراً  
ويتضمنها، لأن العشي إنما هو مقدر متوهم بها، وقال بعض المفسرين في  
هذه الآية ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾<sup>(٦)</sup> يريد به الخيل، أي دخلت اصطبلاتها»<sup>(٧)</sup>  
، وذكر القرطبي<sup>(٨)</sup> أيضاً القولين في مرجع الضمير في هذه الآية، ويظهر  
من كلام ابن عطية والقرطبي أنهما يرجحان عوده إلى غير مذكور أي إلى  
الشمس .

قال ابن عاشور: «وضمير ﴿عَلَيْهَا﴾ - أي في قوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾  
<sup>(٩)</sup> صادق على الأرض، وإن لم يجر لها ذكر في الكلام، فإن المقام دال  
عليها، وذلك استعمال معروف في كلامهم كقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ  
بِالْحِجَابِ﴾<sup>(١٠)</sup> يعني الشمس، ويقولون: أصبحت باردة، يريدون الغداة،  
ويقول أهل المدينة: ما بين لابتيها أحد يفعل كذا، يريدون لابتي  
المدينة»<sup>(١١)</sup> .

(١) انظر ديوان حاتم الطائي ص « ٥٢ » .

(٢) أضواء البيان ٣/٣٦٥ .

(٣) انظر المحرر الوجيز ٣/٤٠٢ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ٥/١١٩ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) سورة ص الآية « ٣٢ » .

(٧) المحرر الوجيز ٤/٥٠٤ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٨/١٩٥ .

(٩) سورة النحل، الآية « ٦١ » .

(١٠) سورة ص الآية « ٣٢ » .

(١١) التحرير والتنوير ١٤/١٨٨ .

وكذلك الخلاف في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾<sup>(١)</sup> حيث ذكر الشنقيطي أيضاً قولين للعلماء : أحدهما أنه راجع إلى الأرض وإن لم يجر لها ذكر. والثاني : أنه راجع إلى منابت الجبال التي هي مراكزها ومقارها لأنها مفهومة من ذكر الجبال<sup>(٢)</sup>.  
أقول : إن الخلاف في مثل هذا لا يضر ولا يترتب عليه شيء .

#### ٦ - مراعاة بعض المفسرين للسياق في تحديد مرجع الضمير.

وأحياناً يكون الخلاف بسبب مراعاة بعض المفسرين لدلالة السياق وتوحيد مرجع الضمائر وتناسقها، وعدم مراعاة البعض الآخر منهم لذلك .  
ففي قوله تعالى: ﴿يُجَدِّدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّا كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: « اختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بقوله : ﴿يُجَدِّدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّا﴾<sup>(٤)</sup> فقال بعضهم : عني بذلك أهل الإيمان من أصحاب رسول الله ﷺ، الذين كانوا معه حين توجه إلى بدر للقاء المشركين.

وقال آخرون : عني بذلك المشركون، والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن عباس وابن إسحاق من أن ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين أنهم كرهوا لقاء العدو، وكان جدالهم نبي الله ﷺ أن قالوا: لم يعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا للغير، ومما يدل على صحة هذا القول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup> ففي ذلك الدليل الواضح لمن فهم عن الله أن القوم

(١) سورة طه الآية « ١٠٦ »  
(٢) انظر أضواء البيان ٥١٤/٤ باختصار .  
(٣) سورة الأنفال الآية « ٦ » .  
(٤) سورة الأنفال الآية « ٦ » .  
(٥) سورة الأنفال الآية « ٧ » .

قد كانوا للشوكة كارهين، وأن جدالهم كان في القتال كما قال مجاهد كراهة منهم له، وأن لا معنى لما قال ابن زيد، لأن الذي قبل قوله: «بِحَدِيثِكَ فِي الْحَقِّ» خبر عن أهل الإيمان، والذي يتلوه خبر عنهم، فإن يكون خبراً عنهم أولى منه بأن يكون خبراً عن من لم يجر له ذكر»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر القولين كل من ابن عطية<sup>(٢)</sup> والماوردي<sup>(٣)</sup>، والبغوي<sup>(٤)</sup> دون ترجيح لأي من القولين. وأيد ابن كثير ما رجحه ابن جرير حيث قال ابن كثير: «وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق، وهو الذي يدل عليه سياق الكلام، والله أعلم»<sup>(٥)</sup>.

وفي نفس السورة أيضاً قوله تعالى: «إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(٦)</sup>. فقد ذكر الشوكاني أقوالاً في المخاطبين بهذه الآية فقيل أنها خطاب للكفار تهكماً بهم، وقيل إن الآية خطاب للمؤمنين، وقال لا يخفى أنه يابى هذا القول معنى: «وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ» ويأباه أيضاً قوله «وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ» وتوجيه ذلك لا يمكن إلا بتكلف وتعسف، ثم ذكر القول الثالث وهو: إن الخطاب في قوله تعالى: «إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ» للمؤمنين، وما بعده للكافرين، ولا يخفى ما في هذا من تفكيك النظم، وعود الضمائر الجارية في الكلام على نمط واحد إلى طائفتين مختلفتين<sup>(٧)</sup>.

قلت: وهكذا يتضح من تضعيف الشوكاني للقول الثاني والثالث أن القول الراجح هو الأول، وأن الخطاب في الآية للكفار لدلالة السياق ولتوحيد مرجع الضمائر.

(١) تفسير الطبري ٣٨/١١، ٣٩ باختصار.

(٢) انظر المحرر الوجيز ٥٠٢/٢.

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي ٢٩٦/٢.

(٤) انظر معالم التنزيل ٢٣٠/٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٧٦/٢.

(٦) سورة الأنفال الآية «١٩».

(٧) انظر فتح القدير ٢٩٧/٢.



وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (١) قال الشنقيطي: «ضمير الفاعل في قوله ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ فيه وجهان للعلماء، وكلاهما يشهد له قرآن، إلا أن لأحدهما قرينة ترجحه على الآخر .

القول الأول: أن واو الفاعل في قوله ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ راجعة إلى المعبودات التي كانوا يعبدونها من دون الله .

القول الثاني: أن العابدين هم الذين يكفرون بعبادتهم شركاءهم وينكرونها، ثم قال: والقرينة المرجحة للوجه الأول أن الضمير في قوله: ﴿وَيَكُونُونَ﴾ راجع للمعبودات، وعليه فرجوع الضمير في: ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للمعبودات أظهر، لانسجام الضمائر بعضها مع بعض .

أما على القول الثاني فإنه يكون ضمير: ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للعبدين، وضمير ﴿وَيَكُونُونَ﴾ للمعبودين، وتفريق الضمائر خلاف الظاهر، والعلم عند الله تعالى (٢) .

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ (٣) ذكر ابن الجوزي قولين في مرجع الضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ :

أحدهما: أنهم المشركون والشركاء.

والثاني: أهل الهدى وأهل الضلالة (٤) .

ورجح أبو حيان عود الضمير على الداعين والمدعويين وهم المشركون والشركاء (٥) .

(١) سورة مريم الآية « ٨٢ » .  
(٢) انظر أضواء البيان ٣٨٧/٤، ٣٨٨ بشيء من الاختصار .  
(٣) سورة الكهف الآية « ٥٢ » .  
(٤) انظر زاد المسير ١٥٥/٥ .  
(٥) انظر البحر المحيط ١٣٧/٦ .

وأيضاً رجع هذا القول الشوكاني (١)، وكذلك الشنقيطي حيث قال: « إن الضمير في قوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ، قيل راجع إلى أهل النار، وقيل راجع إلى أهل الجنة وأهل النار معاً، وقيل راجع للمشركين وما كانوا يعبدونه من دون الله، وهذا هو أظهرها، لدلالة ظاهر السياق عليه لأن الله يقول ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ (٢)، ثم قال مخبراً عن العابدين والمعبودين: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ أي مهلكاً يفصل بينهم ويحيط بهم » (٣) .

#### ٧ - مراعاة بعض المفسرين لوجود مرجحات لتعيين مرجع الضمير.

وتارة يختلف المفسرون في مرجع الضمير، ويكون عند بعضهم مرجح من آية أخرى من القرآن تؤيد أحد الأقوال، وتارة يكون المرجح قراءة أخرى للآية التي يوجد فيها ضمير مُخْتَلَف في مرجعه، وأحياناً يكون المرجح حديثاً نبوياً، وأحياناً يكون المرجح قاعدة أصولية، وأحياناً يكون هناك عدة مرجحات، وفيما يلي بعض المرجحات التي يتنبه لها بعض المفسرين: -

#### أ) الترجيح بآية أخرى :

ومن الأمثلة على الترجيح بآية أخرى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَنُكُمْ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهم وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (٤) .

فقد اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿بِهِ﴾ ، هل يعود إلى الله تعالى، أو إلى الشيطان؟، ذكر القولين كل من القرطبي (٥) والشوكاني (٦)، ورجح الشنقيطي أن الضمير يعود على الشيطان، حيث قال: « ومعنى

(١) انظر فتح القدير ٢٩٣/٣ .  
(٢) سورة الكهف الآية « ٥٢ »  
(٣) أضواء البيان ١٢٨/٤، ١٢٩ .  
(٤) سورة النحل الآية « ١٠٠ » .  
(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٢٨/٥ .  
(٦) انظر فتح القدير ١٩٤/٣ .

كونهم مشركين به هو طاعتهم له في الكفر والمعاصي، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آخَذُوا عَهْدَ إِتْمَانٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَلَا يَعْتَدُوا عَهْدَهُمْ سِيئًا فَأُولَٰئِكَ فَتَنَّا وَتَوَلَّوْا وَهُمْ أَوَّاهٌ مِّنَ الْغَمِّ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١).

وقوله عن إبراهيم: ﴿تَبَّتْ رَبَّتُهَا لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (٢) إلى غير ذلك من الآيات « (٣) » .

### ب) الترجيح بقراءة أخرى للآية نفسها:

وتارة يكون الترجيح بقراءة أخرى للآية ، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عِقْبَهَا﴾ (٤) .

ذكر القرطبي (٥) أن الضمير الغائب في ﴿يَخَافُ﴾ فيه ثلاثة أقوال :  
أحدها: أنه يعود على الله تعالى، أي فعل الله ذلك بهم غير خائف من أحد.  
الثاني : أنه يعود على العاقر، أي لم يخف الذي عقرها عقبي ما صنع .  
الثالث: أنه يعود على رسول الله صالح - عليه السلام - ، أي أنه لا يخاف عاقبة إهلاك قومه، ولا يخشى ضرراً يعود عليه من عذابهم، لأنه قد أنذرهم، ثم قال القرطبي بعد ذلك « وقرأ نافع وابن عامر ﴿فلا﴾ بالفاء، وهو الأجود، لأنه يرجع إلى المعنى الأول، أي فلا يخاف الله عاقبة إهلاكهم، والباقون بالواو (٦) وهي أشبه بالمعنى الثاني، أي ولا يخاف الكافر عاقبة ما صنع « (٧) » .

أما ابن كثير فقد ذكر القولين الأول والثاني، ثم رجح القول الأول محتجاً بدلالة السياق على الأول (٨) .

- 
- (١) سورة يس الآية « ٦٠ » .
  - (٢) سورة مريم الآية « ٤٤ » .
  - (٣) أضواء البيان ٣/ ٣٢٦ .
  - (٤) سورة الشمس الآية « ١٥ » .
  - (٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٥٧ .
  - (٦) انظر القراءتين في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص « ٦٨٩ » ، وانظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٤٠١ .
  - (٧) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٥٧ .
  - (٨) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥١٨ .

## ج) الترجيح بالسنة النبوية :

وأحياناً يكون الترجيح بالسنة، فكما سبق أن من مرجحات كون الضمير في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ مِنْ أَهْلِ الْاَلْكَنِيِّ إِلَّا أَيُّوْمِيْنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْفَيْعَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ نَبِيْداً﴾<sup>(١)</sup> يعود إلى عيسى - عليه السلام - أن السنة النبوية المتواترة تشهد لهذا كما ذكر ذلك الشنقيطي في تفسيره<sup>(٢)</sup> .

## د) الترجيح بقاعدة أصولية :

وأحياناً يكون المرجح لأحد القولين في مرجع الضمير هو قاعدة أصولية، ففي قوله تعالى: ﴿أَرْكَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَطْيَرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاةً وَتَسْبِيحَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال الشنقيطي: «اعلم أن الضمير المحذوف الذي هو فاعل ﴿علم﴾ قال بعض أهل العلم: إنه راجع إلى الله في قوله: ﴿أَرْكَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَطْيَرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاةً وَتَسْبِيحَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وعلى هذا فالمعنى: كل من المسبحين والمصلين قد علم الله صلواته وتسبيحه، وقال بعض أهل العلم: إن الضمير المذكور راجع إلى قوله تعالى ﴿كُلُّ﴾ أي كل من المصلين قد علم صلاة نفسه، وكل من المسبحين قد علم تسبيح نفسه، وقد رجح الشنقيطي هذا القول بناءً على القاعدة الأصولية التي تقول: «إن اللفظ إذا احتمل التوكيد والتأسيس حمل على التأسيس» لأنه على هذا القول فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ تأسيس لا تأكيد، أما على القول بأن الضمير راجع إلى الله تعالى: أي قد علم الله صلواته، يكون قوله ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ كاللتكرار، فيكون من قبيل التوكيد اللفظي<sup>(٤)</sup> .»

(١) سورة النساء الآية « ١٥٩ » .

(٢) انظر أضواء البيان ٢٦٦/٧ .

(٣) سورة النور الآية « ٤١ » .

(٤) انظر أضواء البيان ٢٤٤/٦ مع بعض التصرف .

## هـ) الترجيح بعدة مرجحات :

وتارة يكون لعود الضمير المختلف فيه عدة مرجحات، ففي قوله تعالى:  
﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا  
مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ  
بَاطِلٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> .

فقد اختلف العلماء في مرجع الضمير في قوله ﴿فَإِنَّهُ﴾ على ثلاثة  
أقوال: أحدها: أنه يعود على ﴿لَحْمٍ﴾ المضاف لخنزير . والثاني: أنه يعود  
إلى ﴿خِنْزِيرٍ﴾ لأنه أقرب مذكور. والثالث: أن الضمير يعود على كل من  
الميتة والدم ولحم الخنزير، على معنى فإن المذكور ﴿رِجْسٌ﴾ .

وقد ذكر السمين الحلبي القولين الأولين، ورجح عود الضمير إلى  
﴿لَحْمٍ﴾ ، وعلل ذلك بأن اللحم هو المحدث عنه<sup>(٢)</sup> .

أما ابن حزم فقد استدل على تحريم جميع الخنزير لحمه وشحمه  
وعروقه وغضاريفه وجلده وجميع ما اشتمل عليه بقوله تعالى : ﴿أَوْ لَحْمِ  
خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾<sup>(٣)</sup> ، ورد بذلك على القائلين بتحليل شحم الخنزير،  
فقال الضمير في ﴿فإنه﴾ عائد على الخنزير، لأنه أقرب مذكور<sup>(٤)</sup> .

وقال ابن القيم: «الضمير في قوله ﴿فَإِنَّهُ﴾ وإن كان عوده إلى الثلاثة  
المذكورة باعتبار لفظ المحرم، فإنه يترجح اختصاص لحم الخنزير به  
لثلاثة أوجه :

أحدها : قربه منه .

والثاني : تذكيره دون قوله: ( فإنها ريس ) .

(١) سورة الأنعام الآية « ١٤٥ » .

(٢) انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٠٠/٥ .

(٣) سورة الأنعام، الآية « ١٤٥ » .

(٤) انظر المحلى ، ٣٩٠/٧ باختصار .

والثالث: أنه أتى بـ « الفاء » و « إن » تنبيها على علية التحريم، لتنجز النفوس عنه، ويقابل ما في هذه العلة ما في طباع بعض الناس من استلذازه واستطابته فنفي عنه ذلك، وأخبر أنه رجس، وهذا لا يحتاج إليه في الميئة والدم» (١) .

وقال أبو حيان: « ويمكن أن يقال ذكر اللحم تنبيها على أنه أعظم ما ينتفع به من الخنزير، وإن كان سائره مشاركا له في التحريم بالتنصيص على العلة من كونه رجسا، أو لإطلاق الأكثر على كله، أو الأصل على التابع لأن الشحم وغيره تابع للحم » (٢) .

وقد ذكر الألوسي الأقوال الثلاثة في تفسيره أيضا (٣) .

### اختلاف في مرجع الضمير لا يترتب عليه أثر:

إن بعض الاختلاف في مرجع الضمير لا يترتب عليه شيء، نظراً لأن أقوال العلماء في مرجع الضمير أحيانا تكون متلازمة، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٤) .

قال ابن كثير: « الأظهر أن الضمير في ﴿أَعَدَّتْ﴾ عائد إلى النار التي وقودها الناس والحجارة، ويحتمل عوده على الحجارة كما قال ابن مسعود، ولا منافاة بين القولين في المعنى لأنهما متلازمان » (٥) .

قلت: وقد أحسن ابن كثير - رحمه الله تعالى - حينما بين أن القول الراجح هو: أن الضمير يعود إلى النار التي وقودها الناس والحجارة، وذلك لأن النار هي المتحدث عنها، وكذلك لكثرة الآيات في القرآن التي تبين أن النار معدة للكافرين، ثم أحسن أيضا وضح ألا منافاة بين القولين لأنهما متلازمان فتبين من ذلك أن هذا الخلاف في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٦) ليس له أثر على معنى الآية العام .

(١) بدائع التفسير « الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية » ١٨٥/٢ باختصار .

(٢) البحر المحيط ، ٢٤١/٤ .

(٣) انظر روح المعاني ٤٤/٤ .

(٤) سورة البقرة الآية « ٢٤ » .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٥٩/١ .

(٦) سورة البقرة الآية « ٢٤ » .

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ (١) قال ابن كثير: «قال أبو العالية: يقول: ولا تكونوا أول من كفر بمحمد ﷺ، يعني من جنسكم أهل الكتاب بعد سماعكم بمبعثه، وكذا قال الحسن والسدي والربيع بن أنس، واختار ابن جرير (٢): أن الضمير في قوله ﴿به﴾ عائد على القرآن الذي تقدم ذكره في قوله ﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ وكلا القولين صحيح لأنهما متلازمان، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، ومن كفر بمحمد ﷺ فقد كفر بالقرآن» (٣).

قلت: وما ذكره ابن كثير من التلازم بين القولين صحيح، ومع ذلك فقد تعقب محمود شاكر ابن كثير في حاشيته على تفسير الطبري حيث قال: «نعم كلا القولين صحيح المعنى في ذاته، ولكن الطبري يحدد دلالة الألفاظ والضمائر في الآية، ويعين ما يحتمله ظاهر التلاوة والتنزيل، ويخلص معنى من معنى، وإن كان كلاهما صحيحاً في العقل، صحيحاً في الحكم، صحيحاً في الدين، وما أكثر ما يتساهل الناس إذا تقاربت المعاني، ولا يخلص معنى من معنى إلا بصير بالعربية كأبي جعفر - رضي الله عنه -» (٤).

وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٥) قال الشنقيطي: «الضمير في قوله: ﴿عَنْ أَمْرِهِ﴾» راجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أو إلى الله، والمعنى واحد، لأن الأمر من الله، والرسول مبلغ عنه» (٥).

### أحياناً تكثر الأقوال في مرجع الضمير وتكون من اختلاف التنوع أيضاً.

وأخيراً أنبه إلى أنه أحياناً في بعض الآيات نجد أقوالاً كثيرة لمرجع الضمير، وهذا الاختلاف في مرجع الضمير لا يترتب عليه أثر كبير، أي أنه يكون من باب اختلاف التنوع في التفسير، ومن الأمثلة على ذلك:

- (١) سورة البقرة الآية: «٤١» .
- (٢) تفسير الطبري بتحقيق وتعليق محمود شاكر، ٥٦٤/١ .
- (٣) تفسير القرآن العظيم، ٨٠/١ .
- (٤) سورة النور الآية «٦٣» .
- (٥) أضواء البيان، ٢٥٢/٦ .

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِن عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(١)</sup> ، فقد ذكر العلماء خمسة أقوال في مرجع الضمير في ﴿جَعَلَهُ﴾ ، حيث قال مكي القيسي: «الهاء تعود على الإمداد، ودل عليه ﴿يُنَادِكُمْ﴾»<sup>(٢)</sup>، وقيل تعود على المدد وهم الملائكة، وقيل تعود على التسويم، ودل عليه ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ والتسويم: التعليم، أي معلمين تعرفونهم بالعلامة، وقيل تعود على الإنزال ودل عليه ﴿مُنزِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقيل تعود على العدد، ودل عليه قوله تعالى: ﴿بِحَمْسَةِ ءَآلِفٍ﴾<sup>(٤)</sup> ، و﴿ثَلَاثَةَ ءَآلِفٍ﴾<sup>(٥)</sup> وذلك عدد»<sup>(٦)</sup> .

وهذه الأقوال الخمسة ذكرها أيضاً ابن الأنباري حيث قال: «الهاء في ﴿بِهِ﴾ فيها خمسة أوجه ثم ذكرها<sup>(٧)</sup> .

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي آفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾<sup>(٨)</sup> .

ذكر الشنقيطي خمسة أقوال في مرجع الضمير في هذه الآية، والأقوال هي باختصار :

١- أن أولئك الكفار جعلوا أيدي أنفسهم في أفواههم ليعضوا عليها غيظاً وحنقاً لما جاءت به الرسل، إذ كان فيه تسفيه أحلامهم وشتم

(١) سورة آل عمران الآية « ١٢٦ » .

(٢) سورة آل عمران الآية « ١٢٥ » .

(٣) سورة آل عمران الآية « ١٢٤ » .

(٤) سورة آل عمران الآية « ١٢٥ » .

(٥) سورة آل عمران الآية « ١٢٤ » .

(٦) مشكل إعراب القرآن ١٧٣/١ .

(٧) انظر البيان في غريب إعراب القرآن ٢٢٠/١ .

(٨) سورة إبراهيم الآية « ٩ » .



أصنامهم، واختار هذا ابن جرير <sup>(١)</sup> ، بدليل قوله تعالى: ﴿مَتَّانِمُمْ  
أَوْلَاءَهُمْ حُبُّهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا  
خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ﴾ <sup>(٢)</sup> . وقيل رجعوا بأيديهم إلى أفواههم من العجب، وقيل  
ردوها إلى أفواههم تكتيباً .

٢- ردوا على الرسل قولهم وكذبوهم بأفواههم، فالضمير الأول  
﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ للرسل، والثاني ﴿فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ للكفار، وعلى هذا القول ﴿فِي﴾  
بمعنى الباء، وأيد هذا القول ابن كثير - رحمه الله تعالى - <sup>(٣)</sup> بدليل  
آخر الآية ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ  
مُرِيبٍ﴾ <sup>(٤)</sup> ورد هذا القول الشنقيطي لأن العطف بالواو يقتضي  
المغايرة، فيدل على أن المراد بقوله ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ ، غير التصريح  
بالتكذيب بالأفواه .

٣- وقيل: المعنى: أن الكفار جعلوا أيديهم في أفواه الرسل رداً  
لقولهم، وعليه فالضمير الأول للكفار والثاني للرسل .

٤- وقيل: جعل الكفار أيدي الرسل على أفواه الرسل ليسكتوهم وليقطعوا  
كلامهم .

٥- وقيل: رد الرسل أيدي الكفار في أفواههم، وقيل غير ذلك <sup>(٥)</sup> .

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجَائِهِ لَقَادِرٌ﴾ <sup>(٦)</sup> قال ابن عطية في قوله  
تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجَائِهِ لَقَادِرٌ﴾ « الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ لله تعالى، واختلف  
المفسرون في الضمير في ﴿رَجَائِهِ﴾ فقال قتادة وابن عباس: هو على

(١) انظر تفسير الطبري ٦٠٩/١٣ ، حيث ذكر بعض هذه الأقوال .

(٢) سورة آل عمران الآية « ١١٩ »

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٠٦/٢ .

(٤) سورة إبراهيم الآية « ٩ » .

(٥) انظر أضواء البيان ٩٣/٣ ، ٩٤ باختصار، وانظر هذه الأقوال وغيرها في البحر المحيط ٤٠٨/٥ ، ٤٠٩ .

(٦) سورة الطارق الآية « ٨ » .

الإنسان، أي على رده حياً بعد موته، وقال الضحاك هو عائد على الإنسان لكن المعنى يرجعه ماءً كما كان أولاً، قال الضحاك أيضاً: يرد من الكبر إلى الشباب، وقال عكرمة ومجاهد: هو عائد على الماء أي يرده في الإحليل، وقيل في الصلب « (١) » .

وكذلك ذكر الشوكاني هذه الأقوال وزاد عليها، وبين أن القول بأن الضمير في ﴿رَجِيءٌ﴾ يعود على الإنسان هو الأظهر، وذكر أن الطبري أيضاً رجح هذا القول (٢) (٣) .

وعليه فإن الراجح هو أن الضمير يعود على الإنسان ، أي أن الله تعالى قادر على إحياء هذا الإنسان بعد موته، وذلك يوم القيامة ،

وهكذا فالأمثلة كثيرة على كثرة الخلاف في مرجع الضمير في الآية الواحدة، مع أن غالب هذا الاختلاف من باب اختلاف التنوع لا التضاد. والله أعلم .

---

(١) المحرر الوجيز ٤٦٦/٥ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٣٠٠/٢٤ وقد ذكر عدداً من الأقوال في مرجع الضمير .

(٣) انظر فتح القدير ٤٢٠/٥ .

## الغاية :

تبين من هذا البحث أن اختلاف المفسرين في مرجع الضمير له أثر كبير في اختلافهم في التفسير، وهذا الاختلاف تارة يكون بسبب إرجاع بعض المفسرين الضمير إلى أكثر من مذكور، وبعضهم يعيده إلى مذكور واحد، وأحياناً يكون بسبب التزام بعضهم بإعادة الضمير إلى أقرب مذكور، وبعضهم يراعي إعادة الضمير إلى المحدث عنه في الآية، وبعضهم لا يراعي ذلك، وهناك من المفسرين من يرى أن الضمير في الآية هو ضمير الشأن، ومنهم من يعيد الضمير إلى غير مذكور، ويلاحظ أيضاً أن المفسرين يتفاوتون في مراعاة السياق في تحديد مرجع الضمير، وكذلك يراعي بعض المفسرين وجود بعض المرجحات لتعيين مرجع الضمير كالترجيح بأية أخرى، أو بقراءة أخرى لنفس الآية، أو بحديث نبوي، أو بقاعدة أصولية، أو يكون هناك عدة مرجحات.

وتبين أيضاً أن الاختلاف في مرجع الضمير يكون أحياناً من باب اختلاف التنوع ولا يترتب على الخلاف فيه أثر.

وأنبه أخيراً إلى أن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة والاستقصاء لآيات القرآن الكريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المراجع :

- ١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد بن محمد المختار الشنقيطي، طبع على نفقة محمد بن عوض بن لادن، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ - ١٩٧٩هـ.
- ٢ - إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، بلا تاريخ.
- ٣ - بدائع التفسير « الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية »، جمعه: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٤ - البيان في غريب إعراب القرآن، لأي البركات بن الأنباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد مراجعة: مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٥ - التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، حققه الأستاذ: د. حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ٦ - تفسير البغوي المسمى « معالم التنزيل » للحسين بن مسعود البغوي، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٧ - تفسير التحرير والتنوير، لمحمد بن الطاهر بن عاشور، بلا تاريخ .
- ٨ - تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير الدمشقي، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- ٩ - التفسير الكبير المسمى « البحر المحيط » لأثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- ١٠ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، راجعه وخرّج أحاديثه أحمد محمد شاكر، توزيع دار التربية والتراث، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، بلا تاريخ .

- ١١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- ١٢ - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
- ١٣ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
- ١٤ - ديوان حاتم الطائي، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، الناشر: دار المطبوعات الحديثة، جدة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
- ١٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا تاريخ .
- ١٦ - زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- ١٧ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ١٨ - فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاتي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بلا تاريخ .
- ١٩ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق: د. محمد عبد المنعم اليونسي، إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب الحديثة، مطبعة حسان القاهرة، بلا تاريخ .
- ٢٠ - كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ .

- ٢١ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، الناشر: دار الريان للتراث، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، بلا تاريخ .
- ٢٣ - المحلى، لأبي محمد بن حزم، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الأمان الجديدة، بيروت، بلا تاريخ .
- ٢٤ - مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- ٢٥ - مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م
- ٢٦ - معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٧ - النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، دار الكتاب العربي، أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة: علي محمد الضباع، بلا تاريخ.
- ٢٨ - النكت والعيون « تفسير الماوري » ، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.